طـه حسـين

قـهر الظـلام .. بالحـب !!

طه حسين الأديب المصرى الذى ذاع صيته ، والذى حصل على عدة جوائز محلية وعالمية ، وهب نفسه لدراسة الأدب والتاريخ ، وله آراء وأفكار ثار حولها جدل واسع بين مؤيد ومعارض !

وبالرغم من فقدان طه حسين لبصره كان ذا بصيرة نافذة ، استطاع بها أن يحقق طموحه ، وآماله ، وأن يصل إلى أرفع المناصب فى الدولة ولكن يبقى سؤال.. هل حقق طه حسين ما تمناه بإرادته فقط أم بمساعدة الحب؟ هل لعب الحب دورًا فى حياة طه حسين ؟

ولد الدكتور طه حسين فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩م بمحافظة المنيا فى وسط صعيد مصر ، كان والده يعمل موظفًا بسيطًا ووالدته ربة منزل ، وهى الزوجة الثانية لوالده .

عاش طه حسين ظروفًا معيشية صعبة ، كان والده ينفق على أسرة كبيرة كان ترتيب طه حسين السابع وسط ثلاثة عشر من أبناء أبيه والخامس وسط أحد عشر من أشقائه .

فقد طه حسين بصره وهو فى سن مبكرة وذلك بسبب إصابته بتيار من الهواء البارد ، مما أدى إلى إصابته بالرمد ، وقد أهمل علاجه لمدة طويلة مما أدى إلى فقدان بصره نهائيًا ، حيث لم يكن هناك الوعى الكامل لعلاج مثل هذه الحالات .

شعر طه حسين أنه مختلف عن باقى إخوته ، فهو يلقى معاملة مختلفة عنهم ومع مرور الوقت أدرك أنه بالفعل مختلف لأنهم يرون وهو لا يرى .

حفظ طه حسين القرآن الكريم فى كُتاب القرية ، ثم التحق بالأزهر للدراسة ، وفى أثناء ذلك أنشئت الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩٠٨م وجمع طه حسين بين الدراسة فى الأزهر والدراسة فى الجامعة .

كان طه حسين يتمتع بذكاء شديد ، وثقة بالنفس ، ولهذا أرسلته الجامعة المصرية فى بعثة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة مونبلييه بفرنسا ، بعد أن عمل جاهدًا على إقناعهم من خلال عدة رسائل أرسلها إلى رئيس الجامعة يطلب منه السفر إلى فرنسا لنيل شهادة الدكتوراه وبعد موافقة رئيس الجامعة سافر طه حسين إلى فرنسا .

استقبل طه حسين حياته فى فرنسا بسعادة كبيرة وانتظم فى دراسته بالجامعة ، يسمع دروس الأدب والتاريخ ، واللغة الفرنسية باهتمام وتركيز شديد ، بالرغم من عدم إتقانه اللغة الفرنسية ، إلا أن طه حسين لم يجد مشقة فى فهم الأساتذة الفرنسيين .

تعلم طه حسين اللغة الفرنسية واللاتينية ، وحصل على درجة

الليسانس وذات يوم بينما طه حسين يجلس فى قاعة المحاضرات فى جامعة السوربون سمع صوتًا جميلاً يرن فى أذنيه ، كان هذا الصوت للفتاة الجميلة الحنون سوزان بريسو التلميذة الفرنسية تقول له : إنها تستطيع أن تساعده فى نقل المحاضرات وقراءتها له مرة أخرى ، وكان هذا اللقاء فى مايو ١٩١٥م .

فى هذا الوقت كانت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا ودول الحلفاء تشتعل، فاستدعت الجامعة المصرية مبعوثيها إلى القاهرة ، عاد طه حسين إلى مصر والحزن يعتصر قلبه ، لكنه عاد عام ١٩١٦م ليكمل مشواره، وعندما عاد إلى فرنسا كان ضائعًا بعض الشيء ، فاقترحت عليه سوزان أن يسكن فى الغرفة الشاغرة فى المنزل الذى تعيش فيه هى وأمها، وافق طه حسين ، ومن هنا توطدت العلاقة بين طه حسين وسوزان، فكانت سوزان تصحبه إلى الجامعة ، وتقرأ له المحاضرات ، وتصف له ما يدور حوله من طبيعة ، وأحداث ، فكانت عينيه اللتين يرى بهما الدنيا .

وذات يوم صرح طه حسين لسوزان بحبه لها ، ولكنها صدته فحزن كثيرًا ، ولكن بعد بضعة أشهر أحست سوزان أنها تبادل طه حسين نفس الشعور ، وأنها تحبه ، ولا تستطيع الاستغناء عنه !

ترددت سوزان زمنًا قبل أن تتزوج طه حسين ، ولكنها وافقت وأقنعت أهلها الذين رفضوا فى بادئ الأمر بشدة ، فهو شاب أزهرى ، أجنبى وأعمى، ولكن مع إصرار سوزان وافق الأهل .

تمت خطبة طه حسين وسوزان بريسو ، وكانت فترة من أسعد الفترات التى عاشها طه حسين ، فقد أضافت سوزان لحياة طه حسين الكثير ، معها لم يكن يشعر أنه أعمى لا يرى ، بل على العكس معها كان يرى الدنيا بعيونها، كانا يجلسان لساعات طويلة يتبادلان الأحاديث

والحكايات ، ويضحكان معًا ، ولا يشعران بمرور الوقت .

والآن حان وقت تحديد موعد الزفاف ، ولكن هناك عقبة وهى أن الجامعة كانت وضعت شرطًا بعدم زواج طلاب البعثات أثناء إقامتهم بالخارج ، ولكن طه حسين أرسل خطابًا إلى الجامعة يعرض عليهم أمر زواجه ويطلب موافقة الجامعة المصرية على هذا الزواج نظرًا لظروفه فهو يحتاج إلى مرافق يساعده فى دراسته وقد اختار أن يكون هذا المرافق خطيبته الحسناء سوزان .

وبالفعل تمت الموافقة على الزواج وتم الزفاف فى أغسطس ١٩١٧م، عاش طه حسين وسوزان فى شقة متواضعة فى الحى اللاتينى بباريس ، وأنجبت سوزان أمينة فى يونيو ١٩١٨م وبعد عدة شهور رحلت الأسرة الصغيرة عن فرنسا متجهة إلى مصر .

وفى مصر تسلم طه حسين عمله فى الجامعة المصرية كأستاذ لمادة التاريخ القديم ، والتاريخ الرومانى ، وكان دائمًا ينادى بمجانية التعليم وأن التعليم كالماء والهواء .

ساندت سوزان طه حسين كثيرًا فى عدة أزمات واجهته خلال حياته المهنية ، فبعد صدور كتابه " فى الشعر الجاهلى " واجه طه حسين هجومًا عنيفًا وصل إلى ساحات المحاكم ، وعلى صفحات الجرائد ووصل الأمر إلى تهديده بالقتل ووجد طه حسين فى سوزان الأمان والقلب الكبير الذى استوعب هذه الأزمة حتى حفظت القضية فى مارس ١٩٢٧م.

وبعد هذه القضية عانى طه حسين أزمة نفسية فصحبته سوزان إلى فرنسا ليقضى فترة استرخاء فى قرية صغيرة هناك وفى هذه الرحلة كتب طه حسين كتابه " الأيام " والذى يتناول سيرته الذاتية .

وأخذ طه حسين يتدرج فى المناصب بمساندة زوجته سوزان فقد كانت كما قال : " نورًا بعد ظلمة ، وأنسًا بعد وحشة ، ونعمة بعد بؤس " .

فى عام ١٩٢٧م رُشح طه حسين لمنصب عميد الجامعة ، وكان هذا المنصب مقصورًا على الإنجليز والأجانب فقط ، ولكن بناء على رغبة الأساتذة المصريين تم اختيار طه حسين لنيل هذا المنصب ، ولكن وزير المعارف فى هذا الوقت استدعى طه حسين وطلب منه الاستقالة بعد يوم واحد من توليه المنصب وتم تعيين الأستاذ الفرنسى " ميشو " بدلاً منه وبعد انتهاء فترة تولى " ميشو " تولى طه حسين مرة أخرى هذا المنصب.

فى عام ١٩٣٢م حدثت أزمة بين طه حسين ورئيس الوزراء حيث أراد رئيس الوزراء منح بعض السياسيين الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب ولكن أمام رفض طه حسين قرر وزير المعارف نقل طه حسين إلى وزارة المعارف ثم أصدر قرارًا بفصل طه حسين من وزارة المعارف واقتصر نشاط طه حسين على الكتابة لجريدة " السياسة الأسبوعية " .

وفى عام ١٩٣٤م عاد طه حسين كأستاذ فى الجامعة ثم أعيد انتخابه عام ١٩٣٦م لمنصب عميد كلية الآداب ، ثم انتدب مراقبًا للثقافة بوزارة المعارف ، ثم مستشارًا فنيًا للوزارة ، ثم مديرًا لجامعة الإسكندرية ، وفى عام ١٩٤٤ أحيل طه حسين للتقاعد ، وتفرغ للكتابة والتأليف .

ويبقى سؤال .. هل كان من الممكن أن يصل طه حسين إلى ما وصل إليه بدون مساندة زوجته وحبيبته سوزان وهى التى أحاطت حياته اليومية بجو من النظام والتركيز والتوازن والاهتمام بمظهره ، فقد كان طه حسين شديد الأناقة ، وكان من أكبر أساتذة الكلية اهتمامًا بزيه ، ولاشك أنها أعانته كثيرًا على أداء دوره فى الجامعة والفكر والصحافة .

لم تكن سوزان زوجته المرأة الأولى فى حياته ، فقد تحدث طه حسين فى كتابه " الأيام " عن فتاة تدعى " نفيسة " كانت أيضًا كفيفة كان يسعد كثيرًا عندما يسمع صوتها ، وهى تغنى !

وأيضًا تحدث عن الشاعرة " مى زيادة " بعد أن سمعها فى إحدى الحفلات وبات من أكثر المعجبين بها ، ولكن هذه العلاقات لم تكن مكتملة ، ولم ترق إلى مرحلة الحب الناضج ، أما علاقته بسوزان فكانت رائعة ، فقد كانا روحًا واحدة فى جسدين ، كانت عينيه اللتين رأى بهما الدنيا، فهى الحب الوحيد فى حياة طه حسين .

وفى أكتوبر عام ١٩٧٣م شعر طه حسين بضيق فى التنفس وجاءت الليلة الأخيرة وجلست سوزان بجانبه ، تناوله الدواء وفجأة وجدته بلا نبض ، ولا تنفس فكانا حتى النهاية معًا متقاربين ، ووضعت سوزان قبلة على جبين طه حسين وكانت آخر قبلة .